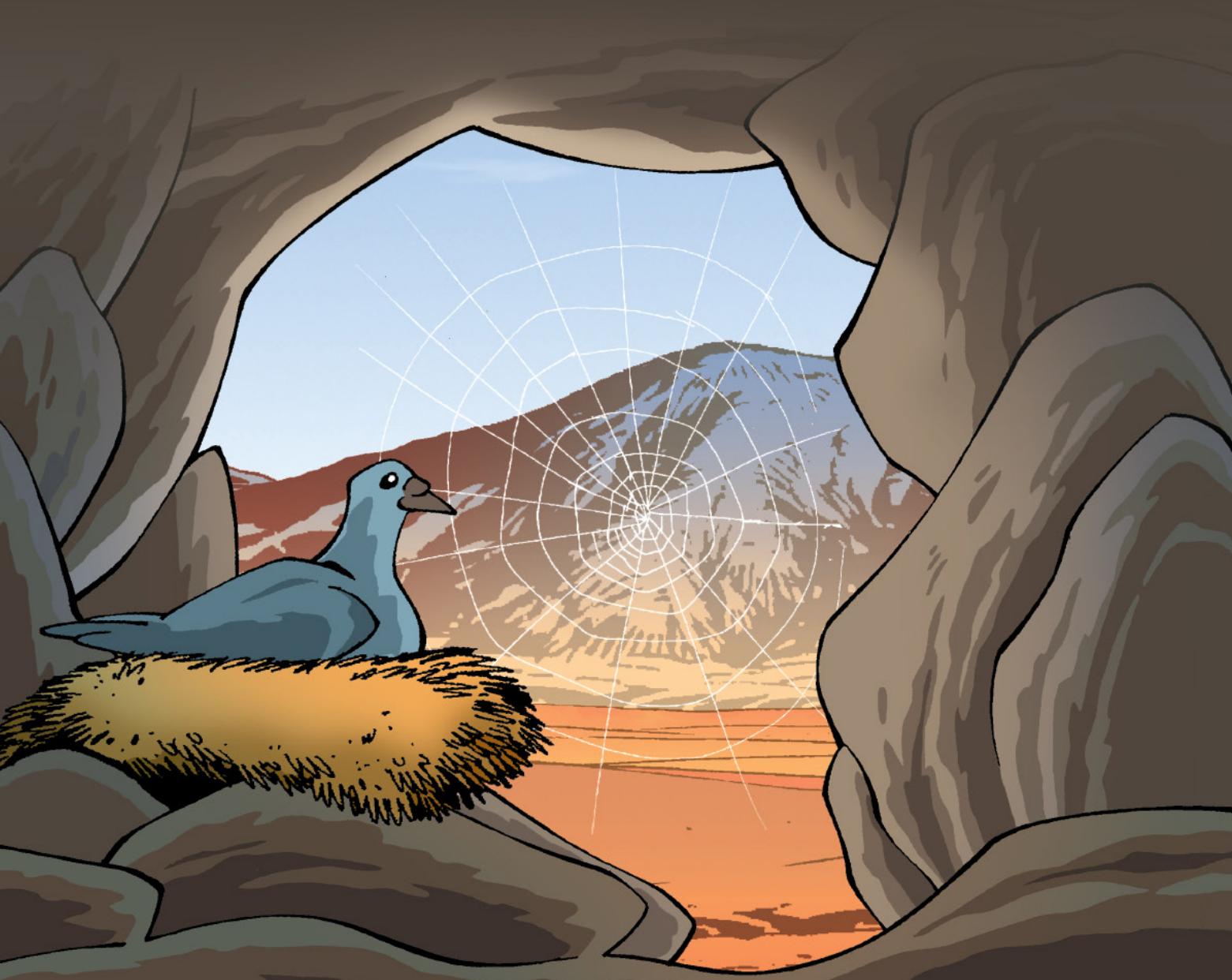


إلى المدينة هجرة الرسول ﷺ



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب العاشر

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) : 9960-9682-4-3

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة : يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية : فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

إلى المدينة
هجرة الرسول

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

منهاج العالمية
International Curricula
تأليف
لينا الكيلاني



2

هجرة رسول الله ﷺ

بعد خروج رجال قريش من دار الندوة، وقد عقدوا العزم على تنفيذ خطتهم الشريرة، كانوا يشعرون بثقة وارتياح. لقد ظنوا أنهم أخيراً تخلصوا من محمد ﷺ، ولكنهم لم يدركوا أن الله تعالى قد أرسل في تلك اللحظة الملك جبريل ﷺ ليحذر رسول الله ﷺ من مؤامرتهم لاغتياله.

في ذلك الوقت، أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالخروج من مكة. وعند منتصف النهار، توجه رسول الله ﷺ على الفور إلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليزف إليه البشرى.

وقد تعجب أبو بكر رضي الله عنه من زيارة النبي ﷺ في ذلك الوقت من النهار، فكان ذلك غير معتاد. وعندما طلب النبي ﷺ من صاحبه أن يُصرف من في بيته، أي الضيوف أو أفراد العائلة، أدرك أبو بكر رضي الله عنه أن الأمر الذي جاء به النبي ﷺ جل جلاله ومهم.

قال أبو بكر: «ليس هنا أحد سوى ابنتي عائشة وأسماء» رضي الله عنهم أثام أخبر رسول الله ﷺ صاحبه أن الله قد أذن له بالهجرة - اليوم وعلى الفور، سأله أبو بكر رضي الله عنه بحماس عما إذا كان بإمكانه مرافقته في رحلته، فوافق رسول الله ﷺ بكل سرور. يا لها من فرحة! كان أبو بكر رضي الله عنه يأمل في شرف مrafقة رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة.

وهكذا، انفصل الصاحبان للتحضير لغادرتهما المفاجئة.

بينما أرسل أبو بكر رضي الله عنه في طلب دليلهما إلى المدينة، التقى رسول الله ﷺ بابن عميه الشاب، علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. وأخبره بالقصة كاملة كيف كانت قريش تخطط لقتله تلك الليلة، وأن الله قد أذن له بالهجرة، وأنه يعتزم مغادرة مكة مع أبي بكر رضي الله عنه. لا شك أن علياً الشاب رضي الله عنه كان يتوقع إلى مرافقة نبيه الحبيب ﷺ، لكنه كان عليه أن يبقى ليعيد بعض الأمانات التي وُضِعَت عند رسول الله ﷺ. يالله من خلق عظيم حتى عندما كانت قريش تخطط لقتله، كان رسول الله ﷺ يخطط لإعادة الأمانات التي ائتمنه عليها.

لكن علياً رضي الله عنه أُوكِل إليه مهمة أعظم. فقد أمره رسول الله ﷺ أن ينام في فراشه ويغطى نفسه بيطانته، ثم طمأنه أن الله سيحميه. ملأ الحب والولاء قلب علي رضي الله عنه، فقبل أمر رسوله ﷺ بكل طاعة.



ومع مرور اليوم، انشغلت قريش بإعداد خطتها الشريرة. كانوا جمِيعاً في حالة تأهب، وكان الهواء مشحوناً بالتوقعات. كانوا ينتظرون بفارغ الصبر حلول ظلام الليل لتنفيذ خطتهم الخبيثة. وبطءاً بـأيام الحار المشع يلiven إلى ظلال رمادية. ثم عندما غابت الشمس البراقالية وراء الأفق الضبابي، خفت الضوء حتى ابتلعت السماء الظلام. لقد حان الوقت. تسلل الشباب المكلفون بالمهمة القاتلة متلثمين، متوجهين بخبط إلى بيت رسول الله ﷺ.

بعد أن تجسساً من خلال ثقب في الباب ليتأكدوا أنه ﷺ نائم بالداخل، وقفوا للحراسة. تركزوا حول بيت رسول الله ﷺ في انتظار مهاجمته بمجرد خروجه في الصباح. ورغم كل جهودهم، فشلت قريش مرة أخرى في مكيدتها ضد رسول الله ﷺ.



وَيَنِمَا كَانَ الشَّابُ يَرَاقِبُونَ الشَّكْلَ النَّائِمَ فِي الْفَرَاشِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غُرْفَتِهِ وَأَقْرَبَهُمْ بَعْضُ الْغَبَارِ. وَبِأَعْجُوبَةٍ، أَصَبَ الشَّابُ بِالْعُمَى وَلَمْ يَرَوْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَمِرُ بَيْنَهُمْ وَقَرَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ} [إِسْرَاءٌ: ٩].

ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُبَاشِرًا إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ اخْتَفَى الرَّفِيقَانِ فِي ظَلَامِ اللَّيلِ الْهَادِئِ.

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، ظَلَّ شَابُ قَرِيشٍ يَحْرُسُونَ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُنْتَظِرِينَ لَحْظَةِ الْهُجُومِ. ثُمَّ جَاءُوهُمْ مِنْ أَخْبَرِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَادَرَ مَكَةَ بِالْفَعْلِ، فَصُعِقُوا. كَانَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا هَرَعُوا إِلَى الدَّاخِلِ وَرَفَعُوا الْبَطَانِيَّةَ الْمُخْضَرَاءَ. وَإِذْ بَهُمْ يَتَفَاجَؤُونَ بِرَؤْيَاةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَائِمًا فِي فَرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. اشْتَعَلَتْ مَكَةُ غَضْبًا - لَقَدْ اخْتَفَى مُحَمَّدٌ ﷺ.

غار ثور

كان رسول الله ﷺ يعلم جيداً أنه بمجرد طلوع النهار، ستبدأ قريش بمطاردتهم. كان يعلم أنهم سيوظفون كل متعقب وكل قبيلة للعثور عليهم. وكان متاكداً أيضاً أنهم سيبحثون في الطريق الشمالي المؤدي إلى المدينة، حيث كان الطريق المعتمد. لذلك لجأ إلى خدعة ذكية. بدلاً من ذلك، توجه هو وأبو بكر جنوباً على طريق مهجور يؤدي إلى اليمن.

ساروا لمسافة خمسة أميال طويلة حتى وصلوا إلى جبل صخري وعر يسمى جبل ثور. وهناك، طلب أبو بكر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن ينتظر بينما يدخل للتأكد من سلامة المكان. قام بتمزيق قطع من ملابسه لسد الثقوب، ليمنع خروج أي ثعابين صغيرة أو مخلوقات ضارة. ثم بعد أن نظف الكهف، أخبر رسول الله ﷺ أن يدخل. وعلى الفور، دخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه المتعب على حجر صاحبه ونام. كانا كلامهما منهكين.

بقي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في الغار لمدة ثلاثة أيام. كانا يعلمان أن قريش ستطاردهما، لذا كان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يبيقيهما على اطلاع باخر المستجدات في مكة. تحت جنح الظلام كان يخرج من مكة ليحضر لهما أخبار تحركات قريش. ثم يعود إلى المدينة ويختبئ بالناس أثناء النهار لعدم إثارة الشبهات. وفي كل مساء، كان عامر بن فهيرة رضي الله عنه، أحد رعاة أبي بكر رضي الله عنه، يتسلل ليحضر لهما الحليب. وبهذه الترتيبات، استقر رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في الغار، منتظرين أن تهدأ الأوضاع في مكة.

وفي غضون ذلك، كانت قريش في حالة يأس. كانوا يعلمون أن أسلوب حياتهم وثرواتهم في خطر إذا نجح محمد ﷺ في الوصول إلى المدينة المنورة. فدعوا إلى اجتماع طارئ لمناقشة ما ينبغي عليهم فعله. أوّلاً قاموا بحظر جميع الطرق المؤدية خارج مكة ووضعوا حراساً عند كل مخرج. ومع ذلك، لم يكن هذا كافياً. كانوا بحاجة إلى المزيد من الرجال للمشاركة في البحث.

فكروا ما أفضل وسيلة لتحفيز القبائل الأخرى على مساعدتهم بذكاء، عرضاً مكافأة مئة ناقة من أفضل الإبل لمن يأتي بمحمد ﷺ وصاحب رضي الله عنه، حياً أو ميتاً. تسابق أمهر المتعقبين من كل مكان إلى الصحراء، يحلمون بالثروة.

أين محمد ﷺ؟

كانت الأوضاع في مكة المكرمة تكتنفها الفوضى والارتباك التام، وقريش في ذهول وغضب شديدين بسبب فرار النبي ﷺ وصاحبه. بعثوا بالدلائل في كل اتجاه، عاقدين العزم على القبض عليهما قبل أن يبلغوا المدينة ويلتحقا بأصحابهما هناك.

وفي تلك الأثناء، أمسك بعض الرجال بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ظناً منهم أنه يعلم وجهة النبي ﷺ وصاحبه. وقررروا إجماره على الإفصاح. فانهالوا عليه بالضرب مراراً، لكنه رفض أن يكشف عن أي شيء. ثم سجنوه لكنه ظل متمسكاً بالصمت ولم يدل بأي معلومة.

ازدادت قريش يأساً، إذ أدركوا أن نمط حياتهم وثرواتهم في خطر إن وصل محمد ﷺ بأمان إلى المدينة المنورة.

حينئذٍ، خطر لهم أن يسألوا شخصاً آخر من المؤكد أنه يعلم مكان الهازبين إنها
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

فاندفع الجماع الغاضب إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه وطرقوا الباب بعنف، وطالبو أسماء رضي الله عنها أن تكشف عن مكان والدها، لكنها رفضت بإصرار أن تفصح لهم بشيء. فغضب أبو جهل غضباً شديداً، ولطم أسماء رضي الله عنها لطمة قاسية كسرت قرطها.

أدركت قريش أخيراً أن الحصول على المعلومات من أتباع النبي ﷺ أمر لا جدوى منه، فحبّهم له كان يفوق كل شيء، حتى أرواحهم. لم يعد أمامهم سوى حيلة أخرى للقبض عليه.

فدعـت قـريـش إـلـى اجـتمـاع طـارـئ لـمـنـاقـشـة الـخـطـوـات الـقـادـمـة. أـوـلـاً، أـغـلـقـوا الـطـرـقـ المؤـدـيـة خـارـج مـكـة، وـنـصـبـوا الـحـرـاس عـلـى كـلـ مـمـرـ. لـكـنـهـم رـأـوا أـنـ هـذـا لـيـس كـافـيـاـ. فـهـم بـحـاجـة لـمـزـيد مـنـ الرـجـال لـلـمسـاعـدة فـي الـبـحـثـ، فـفـكـرـوا فـي الـمـال كـوـسـيـلـة لـجـذـبـ القـبـائـل الـأـخـرى لـلـمـشارـكـةـ.

فأعلنوا عن جائزة قدرها مئة ناقة من أطيب الإبل لمن يأتي بمحمد
وصاحبه، حيّين أو ميتين.
وانطلق حينها أصحاب المهارة في التتبع من كل حدب وصوب في الصحراء، يدفعهم
معهم بثرة تسيل لها الأعناق.

اقتراب العدو

بينما كان رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يختبئان في الغار، إذا بصوت خيول الملاحدين يقترب بشدة حتى مرّق هدوء المكان. فقد كانوا مطاردين، والرجال يجوبون الصحاري والجبال بحثاً عنهم.

وفي لحظة مرهفة، أصبح المطاردون على بعد خطوات معدودة من الغار، مما أدخل القلق في قلب أبي بكر رضي الله عنه، فقال هامساً للرسول ﷺ: «يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لرأى».

لكن النبي ﷺ طمأنه بثقة إيمانية راسخة قائلاً: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟». وهكذا غمر السكينة قلب صاحبه، وتجلى معية الله عز وجل في أبهى صورها؛ إذ وقف الأعداء فوق الغار مباشرة، ولم يروهما بتاتاً. ثم انصرفوا خائبين، يضربون الصحراء بحثاً بلا جدوى.

وبعد مضي ثلات ليالٍ، أتى رجلٌ من أهل مكة يُدعى عبد الله بن أريقط، وكان أميناً موثقاً قد استأجره أبو بكر رضي الله عنه ليدلهم الطريق. وأخبرهم بأن الحملات بدأت تخف حدتها، فقرروا أن الوقت قد حان للرحيل إلى المدينة.

عرض أبو بكر على النبي ﷺ أن يمتهن أسرع ناقة من نوق الرحلة، فوافق النبي ﷺ بشرط واحد أن يدفع ثمنها. فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يكون هذا السفر من ماله الخاص، ابتعاء مرضاعة الله وحده.

أما الزاد، فقد جاءت به أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، حيث ربطه بنطاقها، فلقبها النبي ﷺ حينها بـ»ذات النطاقين«، وبشرها أنها ستثال نطاقين في الجنة جراء إخلاصها وتضحيتها.

ثم امتهن رسول الله ﷺ وصاحب النوق، وانطلقا صوب المدينة المنورة. لقد مضت ثلاث عشرة سنة منذ أن بدأ النبي ﷺ دعوته، دعوة قسببت في اضطهاد أتباعه وغربته عن قومه. ومع ذلك، كان فراق مكة مؤلماً عليه، فقال وهو يغادرها بحزن: «والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت».

سراقة بن مالك ورحلة الوصول إلى المدينة

سار النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه تحت دلالة عبد الله بن أريقط، فسلكوا طريقاً مهجوراً على الساحل، أطول من سائر الطرق المؤدية إلى المدينة، ولكنه الأكثر أمناً إذ لم يكن يُسلك إلا نادراً. وكان أبو بكر طوال الطريق يحرس رسول الله ﷺ بعين يقظة وقلب مفعم بالإيمان، ومع ذلك لم تكن الرحلة لخلو من المفاجآت.

في منطقة مدلج، اجتمع بعض الرجال، فجاءهم رجل مسرعاً يقول: «لقد رأيت أنساً يسيرون على الساحل، وأظن أنهم محمد وصاحبه!».

وكان من بين الحاضرين رجل يُدعى سراقة بن مالك، فخفق قلبه طمعاً في المكافأة الموعودة لمن يمسك بالهاربين. ولكنه أرادها لنفسه، فأنكر وقال: «ليس هذا بمحمد وصاحبه، بل هما فلان وفلان يبحثان عن نوق ضالة».

صدقه القوم، وبقي بينهم متظاهراً بالهدوء، يخفي نيته، حتى إذا واتته اللحظة، عاد إلى بيته وأمر جاريه أن تأتيه بفرسه إلى مكان خفي، ثم جهز سلاحه وامتطى فرسه العربية الأصيلة، منطلقًا في الصحراء.

وعند انطلاقه، تعثر الفرس وسقط سراقة أرضاً، فصاح بها غاضباً، وظن أن ذلك نذير شؤم، لكنه مع ذلك استسلم لطمع المكافأة، فواصل المطاردة، حتى لمح في الأفق بعض الأشبال.

ارتتجف قلب أبي بكر رضي الله عنه عند سماع وقع حوافر الخيل، فالتفت خلفه مذعوراً، أما النبي ﷺ فظل يتلو آيات القرآن الكريم، ثابتاً، مطمئناً. قال أبو بكر بقلق: «يا رسول الله، هذا قد أدركنا!».

قال النبي ﷺ مطمئناً: «لا تحزن، إن الله معنا».

فلما اقترب سراقة مسرعاً، حدث أمر عجيب: غاصت أقدام فرسه في الرمال، وارتفع الغبار من حولها كالدخان، فذهب سراقة، وصاح يستغيث بالنبي ﷺ: «يا محمد، ادع ربك أن يطلق فرسي، وسأكافئك!».

فدعى النبي ﷺ، فأطلق الله الفرس، لكن سراقة نكث وعده وحاول الهجوم مرة أخرى، فغاصت الفرس ثانيةً في الأرض، وزاد خوفه، واستغاث مجدداً. وحين أطلق له، أدرك سراقة أن هذا النبي حقاً مؤيد من عند الله، فتقدم بتواضع، وأخبرهم عن جائزة قريش، وعرض عليهم مؤونة، لكن النبي ﷺ رفض، وطلب منه فقط أن يبعد المطاردين الآخرين عن طريقهم. وغفر له، وأمر عامر بن فهيرة أن يدون ما جرى في ورقة.

وعند مغادرة سراقة، ناداه النبي ﷺ قائلاً: «كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى؟»

فدهش وقال: «كسرى؟ إمبراطور فارس؟!»
قال النبي ﷺ: «نعم.»

وانطلق سراقة، يتساءل كيف لرجل من قبيلته أن يلبس أساور ملوك فارس؟ وعلى الطريق، التقى بعض الباحثين، فقال لهم: «لقد فتشت هذا المكان، لا فائدة هنا.»

فصدقوه لأنّه معروف ببراعته، وانصرفوا.

أما سراقة، فلم يُخبر أحداً بما رأى حتى تأكد من وصول النبي ﷺ وصاحبـه سالمـين إلى المدينة، ثم أعلن أنه التقى برسول الله ﷺ وجهـاً لوجهـ.

وقد تحققت نبوة النبي ﷺ له. وبعد سنوات، حين فتحت الدولة الإسلامية بلاد فارس، قدمت لسرقة أساور كسرى في مسجد النبي ﷺ في المدينة، بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الرحلة المتعبة مليئة بالمفاجآت

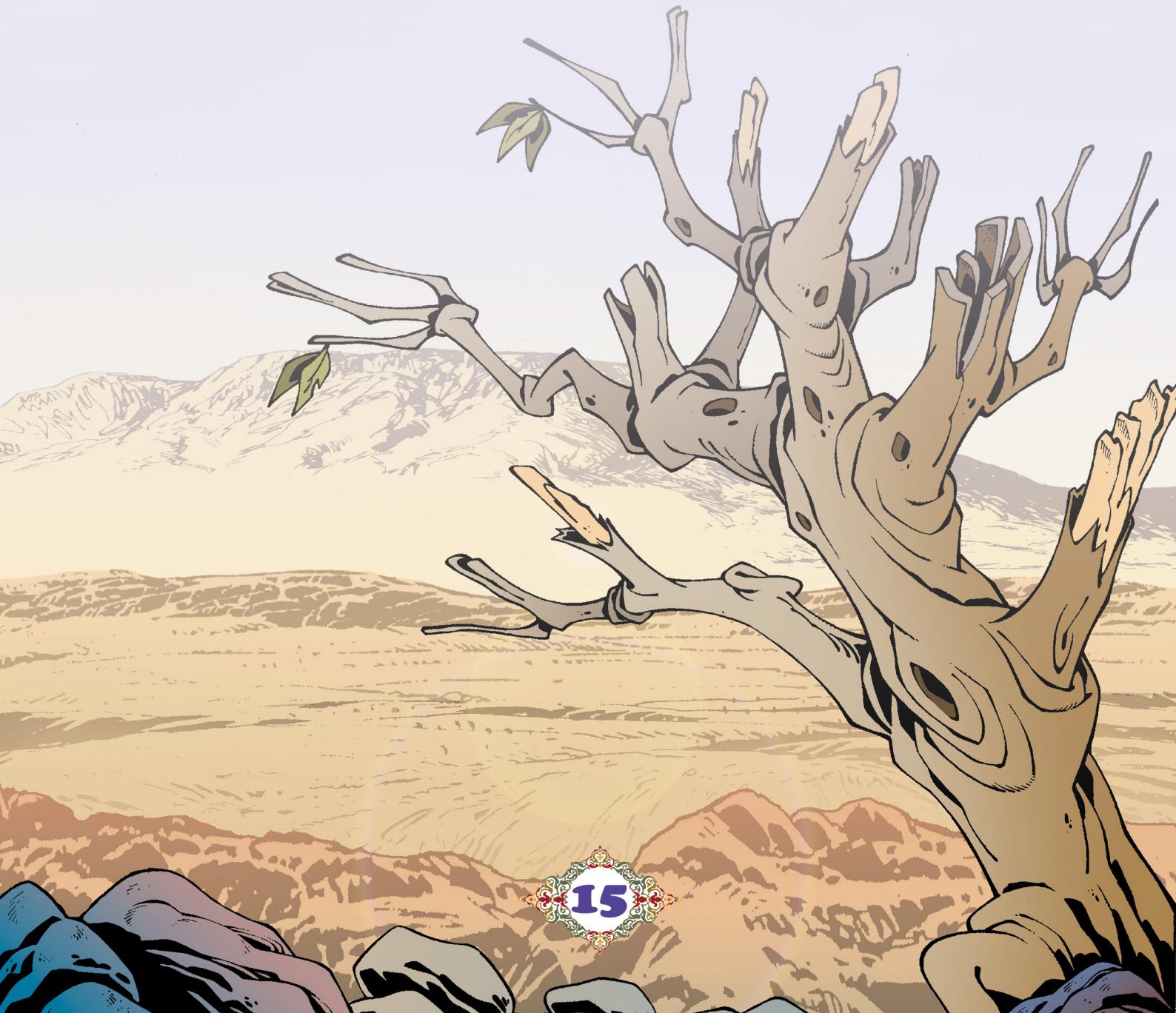
تابع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام سيرهم حتى وصلوا إلى خيام أم معبد الخزاعية. كانوا مرهقين من السفر، جائعين وعطاش، فسألوا عن شيء من الطعام أو الشراب.

فأجابتهم أم معبد معتذرة بأن السنة كانت مجده، لا مطر فيها، وأن الماعز التي كانت عندها شديدة الهزال، لا تكاد تُدرّ شيئاً من اللبن. عندها طلب رسول الله ﷺ الإذن بأن يلمس تلك الماعز الضعيفة، فوافقت.



ولما وضع يده على ضرعها وسمى الله تعالى، إذ بها تُفيض باللبن حتى امتلأ الإناء، وهي من معجزات النبي ﷺ. ففرحت أم معبد فرحاً شديداً، وسرّ الصحابة بهذا الخير المبين.

شربوا حتى ارتوا، ثم ملأ النبي ﷺ وعاءً من اللبن ووهبه لأم معبد. وبعد رحيلهم، رجع زوجها، فلما أخبرته أم معبد بما وقع وما رأت من بركة ضيفهم، علم على الفور أن الزائر لم يكن إلا محمد ﷺ، ذلك الرجل الذي كانت قريش تطارده. هذا الحدث المؤثر ألم أبو معبد ليُعبر عن إعجابه بتلك الشخصية النورانية، فنظم في رسول الله ﷺ أبياتاً رائعة من الشعر، وصف فيها هيبيته وأخلاقه ومعجزاته التي وقعت في خيامهم.



وَتَعَالَى
سُبْحَانَهُمْ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ
عَبْدَهُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

ظنّت قريش أنها ستخلص من محمد ﷺ بقتله، لكن وعد الله تعالى بحماية رسوله تحقق بأروع صور اليقين. لم تكن الهجرة النبوية سهلة، فقد حفّت بها المحن والتحديات، لكن الله هو من يسر الطريق، وأحاط نبيه ﷺ وصاحبته برعايته وحمايته طوال الرحلة إلى المدينة المنورة.

لقد شكلت هذه الرحلة بداية عهد جديد في تاريخ الإسلام، عهد انطلقت فيه الدعوة من أرض الحرية والتمكين، وبدأت فيه حياة أفضل للرسول وأصحابه، بعد سنوات من الصبر والتضحية في سبيل الله.



info@iconetwork.com

www.iconetwork.com

/iconetwork @iconetwork

ISBN No: 9960 - 9682 - 4 - 3

LD. No: 1427 / 312



9 789960 968247